﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾

[المؤمنون: 105]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا مؤاخذةَ دونَ إنذارٍ مُسبَّقٍ

بعد أن ذَكَر اللّه ﷻ مآلَ هؤلاء الذين خفّت موازينهم؛ بيّن سبحانه أنّ هؤلاء لم يُؤاخذوا دونَ إنذار؛ فقد جاءتهم رُسُلُهم بالآيات؛ فخاطبهم المولى تعالى خطابَ استفسارٍ، وأجابوا جوابَ اعترافٍ وإقرار[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُتۡلَىٰ﴾: أصلُ كلمة التّلاوة هو الاتِّباع، يُقال: تَلَوْتُه إذا تَبِعْتَه، ومنه تلاوةُ القُرآن[2]، سواءٌ أكان بمتابعة آيات القرآن آيةً بعدَ آيةٍ، أو اتّباعِ التّالي للقرآن، فنُكرّر ما يقرؤه كما يقرؤه دون فصلٍ، وتختصّ التّلاوةُ باتّباع كتبِ اللّه المُنزّلة بالقراءة، وباتّباع ما فيها من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، وهي أخصُّ من القراءة، فكلُّ تلاوة قراءةٍ؛ وليس كلُّ قراءة تلاوة[3]، وإذا عُدّي (تلا) بحرف (على) فلا بدّ فيهما من إلقاءٍ[4]، ومعنى ﴿تُتۡلَىٰ﴾ هنا أنّ آيات الوحي قد قرأها عليكم رُسلي، وتعرَّفتُم أنَّها منّي.

2) ﴿ءَايَٰتِي﴾: الآية هي العَلامة الظّاهرة؛ وهي من الجَذْر: (أيي)؛ أيْ: ظهر وثَبت[5]، وغالبًا ما يكون لها جانبان؛ جانبٌ ظاهرٌ، وآخَر تدلّ عليه؛ مثال ذلك: كتابةُ عبارة بليغة آية على أنّ كاتبها

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10165.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تلو).
(3) الرّاغب، المُفردات: (تلو).
(4) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تلو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (أيي).

أديب[1]، وتُطلَق الآيةُ على الأمارة، وتُطلَق على العِبرة أيضًا[2]، والآيات أنواع؛ آياتُ الوحي، وآياتُ الآفاق من خَلْق وتدبير، وآياتُ الأنفس من أحوال الأُمم السّابقة مع رسلهم، ومعنى ﴿ءَايَتِى﴾؛ أيْ: آيات الوحي الذي بلّغَه إليكم رسولي.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التّوبيخُ على تكذيبِ الآياتِ

بعد أن وصف اللّهُ عذابَ مَن خفّت موازينهم؛ خاطبهم خطابَ تقريعٍ وتوبيخٍ: ألم تأتكم آياتي يقرؤها عليكم رُسلي؛ تدلّ على وحدانيّتي وما أُريدُه منكم، وتُبيّن جزاءَكم، فكان موقفُكم التّكذيبَ بها؟!

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرّ فصلِ صدرِ الجملة عمّا قبلها:

في حوارِ أهلِ النّارِ عظيمُ بيانٍ لعظيمِ خُسرانهم

جاءت جملةُ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مفصولة عمّا سبق؛ لأنّها من تمام معناها، فوَصْفُ عذابِهم في نار جهنّم يستدعي سؤالًا مفادُه: (أكان هذا الجزاءُ بعد إعلامهم وإقامة الحُجّة عليهم؟) فتأتي هذه الآية موضِّحَةً ذلك باعترافهم في صيغة سؤال وجواب، واستئنافٍ بيانيٍّ بإضمار القول؛ أي: يُقال لهم: ألم تكن؟![3].

بلاغةُ حذفِ القول في هذه الجملة:

في الإيجازِ كلُّ إهانةٍ لهم

لفظ (القول) في الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِى تُتْلَىٰ﴾ محذوف؛ فانتقلت الآيةُ مباشرةً إلى المَقول؛ اهتمامًا بما هو المطلوب وما سيكون الجواب[4]، وفي الحذفِ إبلاغٌ في تصوير التّعنيف والتّأنيب والتّوبيخ، مِمَّا يدلُّ عليه خطابُهم بما في حيِّز الاستفهام؛ بما في الحَذْف من عدم الاعتداد بخطابهم، ومن الحَسْمِ والشِّدَّةِ.

(1) الرّاغب، المُفردات: (أيي).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (أيي).
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 157.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 96.

بلاغة الاستفهام في صدر الآية:

الاستفهامُ توبيخٌ لسوءِ الفعل، وبيانٌ لسبب استحقاقِ العذاب

حملتِ الآيةُ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سؤالًا لأصحاب النّار بهمزة الاستفهام ﴿أَلَمْ﴾، والاستفهام ليس على ظاهره؛ إذِ اللّهُ بكلّ شيءٍ عليمٌ، ولكنّه بقصد التّوبيخ والتّذكير بجرائمهم وجحودِهم للحَقّ، ممّا استحقّوا به ذلك العذابَ[1]، فلم يُفاجِئْهم ربُّهم بعقوبةٍ على شيءٍ لم يُبَصِّرهم به[2].

دلالة الفعل ﴿تَكُنْ﴾ مادّةً وصيغةً:

في آيات الله تعالى كلُّ فلاحٍ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وكان يُمكن أن يُقال: (ألم تتلى عليكم آياتي)؛ ففي ذِكر مادة الكَون معنى الدّوامِ والاستمرار؛ أيْ: (مِن شأنها وديدنها أن تُتلى عليكم)، وتُضيف صيغةُ المضارع إلى هذا معنى التّجدُّد، وهذا مُستَفاد من: ﴿تَكُنْ﴾ مادّةً وصيغةَ مُضارعةٍ معًا؛ وفي ذلك إقامةٌ للحُجّة عليهم؛ فقد تهيَّأ لهم سبيلُ الفلاحِ، ولكنّهم رفضوه، وأبَوْا إلّا سبيل الخُسران.

المُراد بالآيات وسِرّ جمعِها:

آياتُ القرآن دالّةٌ على الحقّ تعالى في معناها وفي مجموعها

المقصودُ بالآيات في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هي آياتُ القرآن المَقروءة بقرينة استعمال حرف الجَرّ (على)[3]، وتدلّ الآيةُ في أصل مادّتها على الوضوح؛ فهو أمرٌ واضحٌ بيّن الدّلالة[4]، كما تحمل الآياتُ دلالةً على غيرها؛ فهي علامةٌ ودليلٌ على وحدانيّة اللّهِ وقُدرته وصِدق رُسلِه[5]، وجاءت في صيغة جَمع لتُشيرَ إلى تتابع ورودِها على أصحاب الجحيم، وفي كلِّ مرّةٍ تُشير إلى المُراد منها، فكثرتُها تُبْعِد احتمالَ الغفلةِ عنها، أو الاعتذارِ بعدم الإنذار بها مجموعة.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 96.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10165.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 127.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 296.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 66.

سرّ إيثارِ الفعلِ ﴿تُتْلَىٰ﴾ مادّةً وصيغةً:

دلالـــة فـعـل (تُـــتـــلَى) على تـتـابـع الآيـات وتجدّدها، وعلى كـفـاية دلالتها على الله

أوثِرَ فعلُ ﴿تُتْلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، والسِّرُّ في اختيار مادّته أنّ لفظ ﴿تُتْلَىٰ﴾ يدلّ على التّتابع؛ فقد قُرِئت عليهم تلك الآيات آيةً تلو آيةٍ، وممّا زاد ذلك وضوحًا مجيءُ الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ بصيغة المضارع الدّالّة على التّجدّد، فكانت تلاوة الآيات مُتجدِّدةً بشكلٍ مُتتابع مُتدرِّج شيئًا فشيئًا، ممّا يكون سببًا للإيمان، فما كان منهم إلّا الكفران[1]، وجاء الفعل مبنيًّا لما لم يُسَمّ فاعلُه؛ للاهتمام بالآيات وكونها حجَّةً واضحةً؛ فالآياتُ في حَدّ ذاتِها كافيةٌ للإيمان.

فائدةُ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

آيات الله حجَّة على المخاطبين بها

قيَّد النّظمُ الكريم مضمونَ الجملة بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ وفائدة ذلك هي أنّ المخاطَبين هم المقصودُون بالخطاب وبتلاوة الآيات عليهم، فلو لم يَرِد الجارُّ والمجرور فقد يُفْهَم منه أنّها خاصّة بقوم دون قوم، أو فريق دون فريق؛ فالمقصودُ بالآيات إذًا هو أنتُم، فلِمَ كذَّبتُم بها؟!

دلالة الفاء، وفائدة (كُنتُم):

أصالـةُ موقفِ الـتّـكـذيـبِ؛ فـمـا إن تُـليت الآياتُ حتّى كان التّكذيب

عبّر القرآنُ بالفاء في قوله: ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وهي فاء التّعقيب والتّرتيب، ممّا يبيّن أنّ التّكذيب كان عَقِب تلاوة الآيات؛ أيْ: فكنتُم فورَ تلاوتِها تُسارعون بالتّكذيب من غير تأمّلٍ وتَدبُّر[2]، وممّا زاد الأمرَ توضيحًا استعمالُ مادّةِ الكون (كنتم)؛ التي تدلّ على أنّ التكذيب عريقٌ فيهم وأصيلٌ، كأنّه سابقٌ لتلاوة الآيات، فموقفُهم واضحٌ - وهو الرَّفضُ - مِن قبل أن تنزّل الآياتُ وتُتلَى عليهم[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 188.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5122.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 188.

بلاغة التّعبير بالباء، وتقديم ﴿بِهَا﴾ على التّكذيب:

الآياتُ هي محلّ التّكذيب

فعلُ التّكذيب يتعدَّى بنفسه، وإنّما جيء بالباء؛ للدّلالة على أنّ هذه الآيات مِن شأنها أن لا تُكذَّب[1]؛ وإبلاغًا في تقرير ذلك قُدِّم اللَّفظُ المُشتَملُ عليها؛ وهو الجارُّ والمجرور ﴿بِهَا﴾ على فعل التّكذيب، ومِمَّا حَسَّن ذلك التّقديمَ كونُ هذا الفعلِ يتعدَّى إلى الآيات بنفسِه، وذهب البقاعيُّ إلى أنّ في التّقديم إعلامًا بمُبالغتهم في التّكذيب[2]، فقد تجاهلوا تلك الآياتِ وما فيها من دلالةٍ على الأُلوهيّة الحَقَّة تجاهلًا عظيمًا.

سِرّ اختيار الفعل ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

شِـدّةُ الإنكار وتَجَدُّده دليلُ استحقاقِ العذاب

السِّرُّ في اختيار مادّة (كذب) بصيغة التّفعيل؛ هو دلالةُ التّكذيب على الإنكار والرّفض والجُحود، فلم يكونوا غافلين أو مُعرضين أو مشغولين فحسب؛ بل تعدّى ذلك إلى الجُحود والإنكار، وهو ما يُصَوِّر فظاعةَ الموقفِ[3]، وقد جاء الفعلُ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بصيغة المُضارع الدّالِّ على تجدّد التّكذيب كلّما تجدّدت الآيات، فكلّما تُليت عليهم آيةٌ من آيات ربّهم كذّبوها، وهو أمرٌ خطيرٌ يُنبئ عن سوء المصير، ويُؤكّد استحقاقَهم لهذا العذاب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّلاوة والتّرتيل والقراءة:

حَسُنَ في آيات الله تعالى أن تُقرَأ مكتوبةً، وتُسمَع صوتًا مُجَوَّدًا، وتُتلى شيئًا فشيئًا

إذا كانتِ التّلاوة والتّرتيل هي قراءة للقرآن الكريم؛ فإنّ التّلاوةَ تتبُّعٌ للمَتلوّ، وتكون مع المسموع غالبًا[4]، فاختلفتِ التّلاوة عنِ القراءة في أنّ الأخيرة أعمُّ؛ إذ تكون من مكتوب ومن غير مكتوبٍ، فكلُّ تلاوةٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 189، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5122.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 223.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 66.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تلو).

قراءة؛ وليس كلُّ قراءةٍ تلاوة[1]، وقريبٌ منَ التّلاوة التّرتيلُ؛ فهو قراءةٌ إلاّ أنّ القراءة تكون بصوتٍ وبغير صوتٍ، بينما يكون التّرتيلُ بصَوت، مع إبانةٍ وتَمَهُّل[2]، فحَسُنَ في آيات اللّه تعالى أن تُقرَأ مكتوبةً وتُسْمَع صوتًا مُجَوَّدًا، وتُتلى شيئًا فشيئًا.

(1) الرّاغب، المُفردات: (تلو).
(2) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (رتل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»